

سلسلة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

# محمد ﷺ الطفُلُ اليتيمُ المختار



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب الثاني

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) 9960-9682-4-3

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة: يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية: فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

محمد الطفُل  
التييم المختار

منهاج العالمية  
تأليف  
لينا الكيلاني  
International Curricula

# محمد ﷺ الطفلُ اليتيمُ المختار

بينما كانت الشمس الحارقة تضرب رمال الصحراء الحمراء، وكان السراب يترافق في الأفق. انطلقت مجموعة صغيرة من النساء والرجال من قبيلة بني سعد بن بكر إلى مكة في رحلة متكررة كل عام بحثاً عن أطفال للرضاعة. كان عاماً صعباً على الأعراب فالأمطار لم تهطل، ولم يكن لديهم ما يأكلونه فلا مراعي خضراء ولا ماشية تدر الحليب والخير.

في ذلك الزمان، كان أهل مكة يرسلون أطفالهم إلى الصحراء البكر ليعيشوا بين البدو في بيئة صحية بعيدة عن صخب الحياة في مكة، حيث يتربون على أقواء ويتعلمون اللغة العربية الفصيحة. وعلى الجانب الآخر، كان الأعراب يتلقون أجراً جيداً مقابل هذه الخدمة.

مع هذه المجموعة كانت حليمة السعدية على ظهر حمارها النحيل تحلم بأن تجد طفلاً من عائلة غنية، جاءت مع زوجها وطفلها اللذان أنهكهما الجوع حتى ناقتهم العجوز لم تكن تدرك قطرة لبن واحدة.

وفي كل ليلة كان طفل حليمة الصغير يبكي حتى ينام من الجوع لم يكن هناك أي حليب لسد جوعه.

قاست حليمة وزوجها كثيراً في الطريق فالحمار الضعيف عانى كثيراً حتى يحملهم في هذا الطريق الصحراوي القاحل والشىء الوحيد الذي تمنوه ودعوا الله من أجله هو المطر والفرج.

## حب الأم

في مكة كانت آمنة تزداد قلقاً على ابنها الصغير اليتيم، إذ كانت تتساءل من سيعتنى به ويوفر له تربية سليمة. كانت تعلم أن عبد المطلب يحب حفيده جداً، لكنها كانت تدرك أيضاً أنه يحمل مسؤوليات عظيمة كزعيم لقريش، فضلاً عن أعباء عائلته الكبيرة. فكيف له أن يتولى تربية ابنها الصغير أيضاً. كانت تعلم أن الحياة في الصحراء النقية هي الأفضل له، لكنها كانت تتساءل من سيقبل برعاية طفل يتييم. إذ كانت المرضعات يفضلن الأطفال الذين لديهم آباء يضمنون لهم الأجر. وإن وافقت إحداهن على أخيه، فكيف لها أن تتحمل فراق طفلها الوحيد. كانت هذه الأفكار تملأ قلب آمنة بالقلق والحزن بينما تفكر في مستقبل ابنها الصغير اليتيم.

# وصول المرضعات إلى مكة

عندما وصلت حليمة السعدية وعائلتها إلى مكة، أصيّبت بخيبة أمل كبيرة، فقد كانت تبحث عن طفل ترضعه ولم تجد سوى طفل واحد يتييم. كانت تشعر بالحزن لأنّه لن يكون هناك من يدفع لها الأجر كما تفعل عائلات الأطفال الآخرين، كانت تخاف من أن جده أو أمّه لن يتمكنا من دفع أي مقابل لها حيث كانت بأشد الحاجة الماسة لهذا المال. لكنها في الوقت نفسه لم تكن تريد العودة إلى ديارها دون طفل.

عندها قالت لزوجها: «والله، لا أريد أن أعود مع باقي النساء دون أن أجد طفلًا، سأذهب إلى ذلك اليتيم وأخذه».

وافقها زوجها قائلاً: «لا بأس في ذلك، لعل الله يبارك لنا به».

عندما احتضنت حليمة الصغير محمد ﷺ، وضعته على صدرها لترضعه، وفوجئت بأنّها كانت تمتلك حليباً وفيراً له. وبعد أن شرب الطفل حتى شبع، أرضعت طفلها الآخر أيضاً فناماً بسلام. ثم حدثت معجزة أخرى، فعندما ذهب زوجها لحلب الناقة العجوز، وجد أنها امتلأت بالحليب على غير العادة.

نظرت حليمة وزوجها إلى بعضهما البعض بدهشة وفرح، فشربا حتى شبعا، وأدركوا أن هذا الطفل مبارك. فقال لها زوجها: «والله، لقد أخذت طفلًا مباركاً» فأجابته حليمة: «أرجو ذلك، إنه فضل من الله».

لقد اختارت حليمة بالفعل ذلك اليتيم الصغير المميز، لقد اختارت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

أصبح من الواضح أن قدول محمد ﷺ الصغير إلى بيت حليمة جلب البركة معها. في طريق العودة إلى قبيلتهم، كانت دابتهم تمشي بسرعة ونشاط لم تعهده من قبل. وعند وصولهم إلى ديارهم، فوجئوا بأن الأرض التي كانت قاحلة أصبحت خضراء مورقة، وأن مواشיהם امتلأت بالحليب بعد أن كانت هزيلة وجائعة. بقي محمد ﷺ مع حليمة في بني سعد لمدة عامين، وقد أحبته حليمة كأنه ابنها الحقيقي، ورأت فيه خصالاً طيبة تميزه عن باقي الأطفال. وعندما حان وقت إعادته إلى أمه في مكة، شعرت حليمة بحزن شديد، إذ لم تكن تخيل حياتها من دونه. فطلبت من آمنة أن تبعيه معها لفترة أطول، مبررة ذلك بأن الصحراء أكثر أماناً له من أوبئة المدينة، وبعد إلحاح وافقت آمنة.

وهكذا عاد محمد ﷺ إلى ديار بني سعد بين البدو، حيث نشأ طيب القلب، عطوفاً على الجميع حتى على الأغنام التي كان يرعاها. لكنه لم يكن كباقي الأطفال، فقد كان هادئاً لا يؤذى أحداً ولا يأخذ شيئاً لا يخصه.

ذات يوم، كان الأطفال يلعبون كعادتهم، وفجأة ركض بعضهم نحو حليمة وهم يصرخون: «لقد قُتل محمد ﷺ». وعندما سألتهم عما حدث، قالوا بينما كنا نلعب «ظهر رجل، شق صدر محمد ﷺ، وأخرج منه قلبه».

كان ذلك الرجل هو الملائكة جبريل عليه السلام، الذي جاء بأمر الله سبحانه وتعالى ليطهر قلب محمد ﷺ، فغسله بماء زمزم في إناء من ذهب. عندما وصلت حليمة، وجدت محمد ﷺ واقفاً، لكنه كان شاحباً. وعلى الرغم من أنه لم يصب بأذى، إلا أن هذه الحادثة أثارت خوفها عليه وسلامته فأصبحت تشعر بالقلق دائماً عليه ورغم حبها الشديد وتعلقها بالطفل محمد ﷺ، قررت أن تعده إلى أمه في مكة.

وهكذا وَدَّعْ مُحَمَّدَ ﷺ الصحراء الواسعة، والسماء الصافية، والنجوم اللامعة، وعاد إلى مكة، حيث كان الوداع مؤلماً لحليمة التي شعرت وكأنها تركت قطعة من قلبها خلفها.

## عودة محمد ﷺ إلى أمه

كان عمر محمد ﷺ حوالي أربع أو خمس سنوات عندما عاد إلى شوارع مكة المزدحمة، لكنه ظل يحمل في قلبه ذكريات الصحراء الرحبة ببساطتها وسمائها الزرقاء الصافية وللغة العربية الفصيحة. وعلى الرغم من فرجه بروية أمّه وجده عبد المطلب والعيش بين أبناء عمومته إلا أن القدر لم يمهله كثيراً، فقد قررت آمنة اصطحابه إلى المدينة المنورة (كانت ما تزال تسمى يثرب في ذلك الوقت) لزيارة قبر والده.

سعدت آمنة كثيراً بعودتها إليها الوحيدة إلى كنفها وهو بكامل صحته وعافيته. اشتاقت لوجوده معها وكانت تخطط لفعل الكثير من الأشياء معه فقررت زيارة يثرب لزيارة أقاربها ومثوى زوجها عبد الله. رافقها في هذه الرحلة بالإضافة إلى ولدها محمد ﷺ، جده عبد المطلب وخادمتها أم أيمن. لكن في طريق العودة، اشتدّ المرض على آمنة، وتوفيت في مكان يُدعى «الأبواء» بين مكة والمدينة. وهكذا، فقد محمد ﷺ أمّه أيضاً فقد حنانها ورعايتها اللذان أحسهما لمدة زمنية قصيرة جداً من عمره الغض، وهنا أصبح محمد ﷺ يتيم الأب والأم.

# المجد الحنون

أخذ عبد المطلب حفيده وعاد به إلى مكة، ووضعه بعناية في منزله. لقد كان عازماً على رعاية حفيده، الذي أصبح الآن يتيم الأم والأب. كان عبد المطلب يحب حفيده حباً كبيراً، وغالباً ما يعامله معاملة أفضل من أبنائه. وقد نقل ابن هشام أن أبناء عبد المطلب كانوا يجلسون باحترام حول فراش والدهم في ظل الكعبة، بينما كان محمد ﷺ يجلس على الفراش نفسه إلى جوار جده. وكلما حاول أعمامه إبعاده، كان جده المحب يعترض ويقول: «دعوا حفيدي، فوالله إن لهذا الغلام شأنًا عظيماً». وكان يقول ذلك وهو يربت على ظهر محمد ﷺ.



كان لدى عبد المطلب يقين راسخ بأن حفيده سيحظى بمكانة عظيمة بين قومه يوماً ما. وربما كان السبب في ذلك صفاتـه الـهادئـة والـحكـيمـة الـتي لـسـها فـيـهـ. غير أن مـحـمـداً ﷺ كان يـمـتـلـكـ صـفـاتـ سـامـيـةـ كـثـيرـةـ، فـقـدـ كانـ كـرـيـمـاـ، صـادـقاـ، وأـمـيـنـاـ وـكـانـ يـكـرـهـ الأـصـنـامـ الـتـيـ كـانـتـ تـمـلـأـ مـكـةـ، وـيـكـرـهـ شـرـبـ الـخـمـ، كـماـ يـكـرـهـ معـاـمـلـةـ العـبـيدـ القـاسـيـةـ.

ولـكـنـ عـنـدـمـاـ بـلـغـ مـحـمـدـ ﷺ الثـامـنـةـ مـنـ عـمـرـهـ تـوـفـيـ جـدـهـ الـحـبـيبـ أـيـضـاـ. وـبـذـلـكـ يـكـونـ الـمـوـتـ قـدـ أـخـذـ ثـلـاثـةـ مـنـ أـعـزـ النـاسـ إـلـىـ قـلـبـ ذـلـكـ الـغـلامـ الصـغـيرـ. وـمـعـ ذـلـكـ، لـمـ يـتـخـلـّـ عـنـهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، فـقـالـ: ﴿أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوَىٰ﴾ [الضحى ٦].

ولـحـسـنـ الـحـظـ توـلـيـ عـمـهـ الـطـيـبـ أـبـوـ طـالـبـ رـعـاـيـتـهـ فـورـاـ، وـضـمـهـ إـلـىـ قـلـبـهـ قـبـلـ بـيـتـهـ. وـقـدـ لـاحـظـ هـوـ الـآخـرـ صـفـاتـ الـغـلامـ الـحـسـنـةـ، فـكـانـ حـبـهـ لـهـ صـادـقاـ وـعـمـيقـاـ كـمـاـ كـانـ حـبـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ لـهـ، وـلـذـلـكـ عـاـمـلـهـ بـاحـتـرـامـ شـدـيدـ.

## رحلة ولقاء مع راهب

كان أهل مكة يعيشون على التجارة التي تعتمد على القوافل الواردة والصادرة من مكة. وكانت الأرض الحارة الجرداء أشبه ببحر تعبره الجمال الصبور، وكان الرجال يحملونها بالبضائع ليتاجروا بها في بلدان أخرى. وكانت الرحلة تستمر أيامًا تحت حرارة الشمس الحارقة، وتليها ليالٍ مضيئة تحت النجوم المتلائمة. ورغم خطر الصوص الذي كان يهدد القوافل، فإن هذه الرحلات كانت تصقل الصبية وتحولهم إلى رجال.

وعندما بلغ محمد ﷺ الثانية عشرة من عمره، اصطحبه عمه أبو طالب في رحلة تجارية إلى الشام، وكانت هذه أول مرة يغادر فيها محمد ﷺ حدود بلده. لا شك أنه شعر بالحماسة، وهو يشاهد الأفق يمتد أمامه، ويستمع إلى أصوات الجمال، ويتأمل تبدل النهار والليل.



وعندما وصلوا إلى مدينة بُصرى، التقوا راهبًا يُدعى بحيرى كان يعيش هناك. وعلى الرغم من أنهم التقوا به في رحلات سابقة، فإنه لم يُظهررأي اهتمام سابقًا بقوافل العرب القادمة من مكة. لكن هذه المرة، تصرف بحيرى بطريقة مختلفة تماماً فقد كان كريماً جدًا، ودعاهم إلى وليمة فاخرة من أفضل الطعام. غير أنه بدا مهتماً بشكل خاص بـمحمد ﷺ، فأخذ بيده وقال:

«هذا هو سيد البشر، سيرسله الله برسالة تكون رحمة للعالمين». استغرب أبو طالب من تصرف الراهب، فسألته: «وكيف عرفت ذلك؟» فأجابه بحيرى قائلاً شيئاً عجيباً:

«عندما ظهرتم من جهة العقبة، سجدت له الحجارة والأشجار، وذلك لا يحدث إلا لنبي». وأضاف أنه عرفه من ختم النبوة، والذي كان أسفل كتفه.

وفي النهاية، حذر بحيرى أبا طالب من إبقاء الصبي في الشام، إذ كان يخشى أن يؤذيه اليهود إذا عرفوه من أوصافه المذكورة في كتبهم. كان لتنبؤ الراهب تحذيره تأثير بالغ على نفس أبي طالب، فأخذ بنصيحته وأعاد محمدًا ﷺ إلى مكة مع بعض خدمه من الرجال.

وهكذا في طريق العودة كانت رمال الصحراء الساخنة تتسع أمامه، انتقل محمد ﷺ من طفولته الحافلة بالفقد والحب والحزن، إلى مرحلة الرجولة، نحو الابتلاءات الكبرى، ونحو مصيره العظيم كنبيٍّ خاتِمٍ لكل الرسالات السماوية.

سُبْحَانَهُ وَتَحْمِلُ  
عَذَابَهُ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويُثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويُبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

عَزَّ ذِكْرُهُ لِلَّهِ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

لَمْ تَكُنِ السَّنُوَاتُ الْأُولَى مِنْ حَيَاةِ مُحَمَّدٍ  
سَهْلَةً، فَقَدْ كَانَ يَتِيمًا مِنْذُ صَغْرِهِ، إِذْ عَاشَ  
فِي كَنْفِ حَلِيمَةِ السَّعْدِيَّةِ مِرْضِعَتِهِ، ثُمَّ فَقَدَ  
وَالدَّتَّهُ وَجَدَهُ فِي سَنِّ مُبْكِرَةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ  
مَا فَقَدَهُ مِنْ حُبٍّ وَرِعَايَةٍ عُوْضَ لَهُ بِحُبٍّ  
وَحَنَانٍ عَمَّهُ أَبِيهِ طَالِبٌ، الَّذِي أَحْبَبَهُ وَرَعَاهُ كَمَا  
لَوْ كَانَ أَحَدُ أَبْنَائِهِ.

كَانَ الْيَتِيمُ الْفَقِيرُ لَا يَفَارِقُ جَانِبَ أَبِيهِ طَالِبٍ،  
بَلْ رَافِقُهُ فِي إِحْدَى رَحْلَاتِهِ التِّجَارِيَّةِ إِلَى بَلَادِ  
الشَّامِ. وَعَلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ، بَدَأَتْ بِوَادِرِ النَّبُوَّةِ  
تَتَجَلِّي، حِيثُ التَّقَى مُحَمَّدٌ  
بِالرَّاهِبِ بَحِيرِيِّ،  
الَّذِي لَاحَظَ فُورًا دَلَائِلَ النَّبُوَّةِ فِيهِ.



9 789960 968247